أثر وسائل الإعلام في الحد من الجريمة او تفشيها

م.م. سعد زكي الصبيحاوي *
جميعة الرأي للثقافة والاعلام

المقدمة :

يرى الاعلاميون ان الاعلام سلاح ذو حدين يؤثر ويتأثر تبعاً للأدارة القائمة على القنوات الاعلامية ومناهجها المتبعة والتي تُعد الموجه الرئيسي لطبيعة الخطاب بكل تفصيلاته وهو يلعب دوراً رئيسياً في التأثير وترسيخ قيم عديدة لدى المتلقي .

ومسألة محاربة الجريمة هي من المهمات الرئيسية التي يضع لها صانعوا السياسة الاعلامية في البلد خطوطاً عريضة ومهمة للسيطرة على عدم انتشار النزعة العدوانية .. ويقع في بعض الاحيان هذا الاعلام بأخطاء جمة يكون فيها مساهما اولياً او رئيسياً في ترويج الافكار العدوانية لدى شرائح المجتمع عموماً ، وفئات الشباب خصوصاً من خلال ما يحويه الخطاب الاعلامي في كل اشكال الفنون الاعلامية لا سيما فنون السينما والتلفزيون ، سواءاً في الأفلام او المسلسلات حيث يعرض المجرم كبطل معتد بنفسه مما يجعل الكثير من فئة المراهقين تتقمص شخصيات المجرمين ويحاول الفيلم او المسلسل اعطاء صبغة ذات مؤثرات خاصة لأبطاله المجرمين لتستهوي انفعالات الشباب ... وهو بذلك يحاول التحاشي والترويج لأفكارهم وانفعالاتهم على ارض الواقع لذلك فأن في مثل هذه الحالة يكون الاعلام قد انشأ جيلا ذا افكار تحتوي على العنف والاثارة بعد تأثره (بأبطال الفيلم) ومن جانب آخر فأن المثل والاخلاق التي تعرض بصورة نمطية وتقليدية قد لا تكون لها الحظ الاوفر في التأثير على العقليات والخلفيات الثقافية والفكرية لعدة شرائح ، حيث الكثير من هؤلاء اعتاد ان لا يستقبل رسائل و خطابات اعلامية بصورة كلاسيكية لا تتماشى مع واقع الحال الذي اعتادت عليه تلك الفئات ، لذلك على واضعي السيناريوهات الاعلامية بمختلف اتجاهاتها ان يضعوا في الحسبان سيكولوجية الشخص المستقبل للرسالة واضافة المؤثرات الجانبية التي تخدم سير العملية الاعلامية وتحقيق الغاية المرجوة للرسالة وتحديد نقاط القوة والضعف التي رافقت سير العملية الاعلامية ومحاولة تجاوز الاخفاقات ومعالجتها في طرق علمية بعيدة عن الارتجال والنرجسية وفرض الارآء والابتعاد من اقحام المسائل الثانوية التي تشتت المستقبل (المتلقي) وتضع امامه عدة رؤى وافكار تبعده من التركيز من الموضوع الرئيس ، بل قد يطرأ موضوع ثانوي لم يضع له بالاً مرسل الرسالة ويكون ذا تاثير سلبي وجانبي على المتلقي.

---

* ناقد ومحلل سياسي

مشكلة البحث:

تتحدث مشكلة البحث المزمع الخوض في تفاصيله بدور وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية في الحد من ارتكاب الجرائم في المجتمع ومحاور المشكلة تركز على: -

اولاً –الخطاب الاعلامي والجريمة : التأثير السلبي ؟

ثانياً – الخطاب الاعلامي والحد من الجريمة : التأثير الايجابي ؟

يتناول المحور الاول طبيعة تكوين الخطاب الاعلامي في حال تأثره بقيم ومعتقدات غريبة عن المجتمع المخاطب ومحاولة فرضها على هذا المجتمع بنحو أو بآخر من خلال عدم الرؤية الصحيحة للاعلامي بصورة عامة ومعرفته بسيكولوجية المتلقي الذي له منظومته الاخلاقية وعاداته الاجتماعية الخاصة ، وهنا لاشك انه سيقع من يرسل له الرسالة في خطأ فادح من خلال عدم الانسجام ما بين الرسالة ومكوناتها وما بين المتلقي وما يحمله من افكار ، الأمر الذي يصيب المتلقي بالتشتت والارباك حيث ان ما يروج من رسائل لا يفقه منها شيئاً ولا تتناغم وتتشابك مع اتجاهاته وميوله العاطفية والفكرية فتجده متخبطاً ، وتغرس قيم جديدة لديه قد تؤدي في اغلب الاحيان الى ان ينتهج مبادئ اخرى تؤدي به الى العدوانية وارتكاب الحماقات والجرائم في اغلب الاوقات.

اما ما يخص المحور الثاني وهو التأثير الايجابي للأعلام في الحد من الجريمة سيتركز على ان الاعلامي الذي يرسل هذه الرسائل له معرفة كبيرة في المجتمع وافراده وطبيعة تكويناته وقيمه وعاداته وبالتالي نراه ينطلق من هذه القاعدة ليؤسس خطاباً منسجماً مع هذه الاتجاهات التي تشكل مادة منسجمة ومتكاملة ومؤثرة لدى الفرد المتلقي حيث ان هناك تساوقاً مع الافكار التي تتضمنها الرسالة وما يؤمن به من معتقدات حيث إن تركيز الإعلام على مسائل الدين من ناحية وعلى مسائل الاخلاق من ناحية أخرى تكون مهمازاً لتركيز تلك القيم الموجودة اساساً لدى ذلك الفرد ليوقظها ذلك الخطاب من خلال التذكرة والضخ الإعلامي مصاحبه بذلك المؤثرات الفنية والفكرية واللغوية التي تاخذ الفرد لان تحدثه نفسه وما يعتقده فتراه متأثراً من الطراز الأول بهذه المادة كونها تداعب افكاره وميوله وأحاسيسه وبالتالي تكون محركة له عبر تصرفاته وسلوكياته وميوله تجاه الاخرين وتجاه المجتمع.

أهمية البحث

تكمن أهمية هذا البحث لكونه يتناول أكثر من جانب في تسليط الضوء على العمل الإعلامي والفكر السياسي بالإضافة إلى تسليط الضوء على العمل الإجرامي والفكر التكفيري ، وتأتي أهمية هذا البحث من منطلق انه الأول في حقل العنف الإعلامي على مستوى منطقة الخليج العربي ونام لان نسد النقص الحاصل في حقل صناعة الجريمة اعلامياً.

أهداف البحث

يهدف البحث الى التعرف على البرامج الاجتماعية والثقافية التي تسمح بشكل مباشر او غير مباشر في نشر ثقافة الجريمة .... ويسعى الباحث للخروج بأستنتاجات ومقترحات من الممكن ان تسهم في التنبيه الى خطورة تلك القنوات ودورها السلبي في المجتمع

كما يسعى الباحث الى الكشف عن المضامين السلبية التي ينطوي عليها الاعلام وهو يستهدف المنظومة القيمية والاخلاقية للمجتمع.

ومن خلال متابعتنا لفترة زمنين لأتجاهات الاعلام العراقي حيث كان الاعلام مقيداً بالسلاسل وبالقبضة الحديدية من قبل السلطة .. مع تلك المركزية نستطيع ان نقول بأن الرقابة على الوسائل

الاعلامية كان لها تأثير ايجابي في بعض الجوانب التي تمس قيم المجتمع واخلاقياته وموروثه الديني .. فلم يتناول ذلك الاعلام نماذج الاعلام الغربي مثلاً او نماذج من الاعلام الاصفر الذي لا تحده خطوط حمراء ولا يوقفه حارس البوابة الذي يجيز او لا يجيز الرسالة الاعلامية من المرور فحافظت المنظومة الاخلاقية على هويتها عبر تلك الظوابط ، الا انها من جانب آخر قيدت هوية التعبير وحرية الصحافة والاعلام عموماً ، مما صنع مجتمعاً مسوراً ببوابات السلطة . له من السلبيات اكثر من الايجابيات .. وبعد فترةالتسعينات ونتيجة للحصار الاقتصادي بدأت بوادر الحرية تكتسب شيئاً فشيئاً جراء الوضع المادي المتردي لدى الكثيرين فلم يكن للاعلام دور يذكر في الحد من هذه الجريمة بسبب ان الفاقة كانت اكبر من ان يسيطر عليها مقال صحفي او برنامج تلفازي ناهيك عن ان كل ما كان يطرح او يعالج في وسائل الاعلام لم يكن بالمستوى المطلوب لأحداث التاثير بل على العكس عرض نماذج كثيرة ساعدت على استفحال الجريمة ونذكر مثالاً على ذلك لا الحصر .. عرض مسلسل عراقي تحت عنوان " ذئاب الليل "حيث صور فيه المجرم)ابو جحيل (الذي جسد هذه الشخصية الممثل) جواد الشكرجي(على انه بطل يتحدى السلطة والقانون حتى وجدنا المئات من المراهقين يسيرون على ذات النهج الذي سار عليه المجرم) ابو جحيل (حيث صور وكأنه صاحب قضية وكانت معالجات المخرج والسيناريست [1]غير موفقة لعرض هذه الشخصية character، فعلى الرغم من ايجابيات هذا العمل الفني في استقطاب جمهور واسع من المشاهدين الا انه رسخ بعض الافكار العدوانية لدى الكثير من فئات المجتمع فكان سلاحاً ذا حدين ..

اذا يمكن القول ان الاعلام يعتمد على طبيعة من يقف وراء اعداد خطابه فأذا كان ملماً بتفاصيل المجتمع وقيمه وعاداته وما يؤثر فيه .. فعند ذلك يكون تأثيره ايجابي .. اما اذا كان العكس من ذلك فأنه يعطي نتائج سلبية تؤثر على المجتمع وعلى منظومته الاخلاقية من دون تشعر وسائل الاعلام بأن لها دوراً كبيراً في خراب المجتمع وانها كالارضة تنخر في الفرد والمجتمع.

المبحث الاول:

أ - مناهج الاعلام و الجريمة

تلعب وسائل الاعلام دوراً كبيرا في الحد من الجريمة او تفاقمها ، وهذا يرجع الى الطريقة التي تعرض بها الحوادث الاجرامية واسلوب تناولها ، طبقاً لتغطية الاحداث الاجرامية .. ومن هنا يرى الباحث من خلال تتبعه لبعض وسائل الاعلام في نقل الجريمة إن وسائل الاعلام تنقسم الى ثلاثة اقسام في منهجيتها-:

1-**الاعلام الايجابي** : يقوم بالتوعية الجماهيرية والتنبيه الى خطورة هذا العمل ثم التعرية والتشهير بالمجرمين ، مدعومة بشاهد عيان)) . eys witness عند فرض الحقيقة تكون بنا حاجة الى القسوة لا الى بريق العبارة [2]((ثم يقوم هذا النوع من الاعلام بعرض العقوبات كأسلوب للردع . ولذلك وبدون مبالغة في القول ان هذا الاعلام هو الاعلام الراقي ويسمى احياناً بحارس المدينة ، فهو يناضل من اجل علاقة متوازنة بين الدولة والمجتمع من جهة ، وبين السلطات الثلاث والمواطن من جهة اخرى.

2-**الاعلام السلبي** : هو اداة لتغييب الوعي وتزييفه ، ومناقض تمام المناقضة لمشروع المجتمع المدني ، فنجد قناة الجزيرة القطرية مثلا تقدم) بن لادن (بصورة ايجابية ، وهذا نموذج في

التعامل بخطابها الموجه للعراق حيث اثارت سياستها الاعلامية في تكريس ظاهرة الارهاب، وقد تعاملت قناة الجزيرة مع الوضع بصورة عامة بأسلوب سلبي مقارنة مع وسائل الاعلام الاخرى.

3-**الاعلام المزدوج** : هو الذي يساهم بشكل فعال في تغذية الجريمة من خلال دعم وتشويه الحقائق وقلب النتائج ، فحين نقف على قناة العربية كنموذج فإننا سنرى تشويه للحقائق من خلال تقديم معطيات وبيانات غير موثقة او موثقة من جانب واحد .فهناك اختيارselection لكلمات تصفها حسب سياستها فمرة إرهابي وأخرى مجاهد ، شهداء ، قتلى ، دون الرجوع إلى منشأ تلك المصطلحات وترجمتها على الواقع فكانت ولا زالت تعمل هذه الفضائية في ازدواجية واضحة دون الرجوع الى المعيارية والمهنية في تقييم الحدث ودراسة الأوضاع.

ومن خلال ما تقدم يمكن القول بأن هناك قنوات إعلامية مصممة لنيات عدوانية لها أهدافها وأجنداتها باتجاه دولة أو فكر او جماعة ، حيث تسهم في خلق واشاعة روح العداوة والبغضاء . ووسائل إعلام أخرى مقاومة ومدافعة عن الحرية والعدالة تبتكر في كل يوم او عبر كل مواجهه وسيلة اضافية لكسر الاحتكار والهيمنة ، ولأيصال صوتها إلى العالم . وعبر كل ذلك تحتدم معركة لا حدود لأبعادها بين حرية الكلمة ونقيضها ، وبين حق التعبير وممارسة قمع الرأي وتزوير الواقع.

ب -اتجاهات الإعلام و تغطية الجريمة:

يشير الاتجاه الى حالة استعداد عقلي محايد يبنى على التجربة ولهذه الحالة تاثير ديناميكي او توجيهي على استجابة الفرد للامور والظروف المتصلة بهذه الحالة , والاتجاه عرفه الباحث "روكيش [3] "هو تنظيم للمعتقدات يتسم نسبيا بالاستمرار عن شيء او ظرف ما يهيء هذا التنظيم الفرد للاستجابة بطريقة معينة.

ومع تعدد النظريات الإعلامية ومسمياتها واساليب تأثيرها , نوجز هنا بعضاً منها بما يتوافق مع بحثنا هذا ونبدأها بـ:

- **نظرية الإشباع :** إن هذه النظرية متأثرة بالجو الليبرالي أو مناخ الحرية السائد في الغرب والذي نادى به المفكر الانكليزي) جون ستيوارت بل (في قانونه الشهير) السوق الحديث للأفكار (الذي يقوم على الكسب المادي دون أي ضابط أخلاقي , أي مفهوم التعرض الاختياري الذي تقوم عليه النظرية يصبح منطقياً في مجتمع يسمح بعرض كل شيء في العنف والحرية الى الإباحية والشذوذ الجنسي بإسم الحرية الفكرية وحرية التعبير.
- **نظرية الحقنة :** [4] ترى هذه النظرية : ترى هذه النظرية أن الإنسان الذي يتعرض لأي وسيلة إعلامية سواء كانت جريدة أو إذاعة أو تلفزيون , يتأثر بمضمونها مباشرة وخلال فترة قصيرة , مثلاً , إذا ماشاهد الإنسان في التلفاز مشاهد قتل وعنف , فأنه بالضرورة بناءً على هذه النظرية سوف يحاكيها ويحاول تطبيقها في واقع حياته.
- **نظرية التطعيم** : وتعني المناعة ضد كل ماتقدمه وسائل الإعلام في موضوعات مثيرة.
- **نظرية حارس البوابة :** هي الحارس الإعلامي الذي يتحكم في صناعة مايشاء أو إدخال مايشاء من مواد إعلامية وفقاً لإعتبارات سياسية أو إعلامية متعددة يراد من خلالها إحداث تغيير ثقافي في الجمهور المستهدف أو أحياناً يلجأ الى حجب الحقيقة لدعم ثوابت المجتمع الثقافية وحماية بنيانه الاجتماعي.

- **التأثير التراكمي :** تأثير ماتعرضه وسائل الإعلام على الناس يحتاج الى فترة طويلة حتى تظهر آثاره , ومن خلال هذه المدة الزمنية يمكن أن تحمله وسائل الإعلام على تبني أفكار جديدة ومختلفة.
- **نظرية الاتصال الشخصي :** مصطلح يطلق على كل قادة الرأي الذين يقدمون شرح للمعلومات التي تبثها وسائل الإعلام أو تقديم آراء أخرى مغايرة للمعلومات التي تبثها وسائل الإعلام.

ويرى العبد ان القوة التي يمثلها الاعلام)) تتمثل بقدرته على تشكيل القناعات لدى الناس ووضعه اجندة المجتمع وتحديد الموضوعات التي تتناقل بين الناس . وهناك الكثير من النظريات التي تبحث في تأثير وسائل الاعلام التي تعمل على تشكيل اتجاهات الرأي العام من خلال التركيز على قضايا معينة وتهميش قضايا اخرى[5] .

ويمتد تأثير وسائل الاعلام الى النظام المعرفي للافراد من خلال عملية التعرض الطويلة المدى لوسائل الاعلام كمصدر للمعلومات ، فتقوم باجتثاث الاصول المعرفية القائمة لقضية او مجموعة من القضايا لدى الافراد واحلال اصول معرفية جديدة بدلاً منها [6] .

وهذا متصل ب)نظرية التعلم (التي تم تطويرها من قبل بعض علماء النفس لتفسير اكتساب الانماط السلوكية من خلال التعرف على وسائل الاعلام بصفة عامة والتلفزيون بصفة خاصة .. ونظرية التعلم بالملاحظة او من خلال المحاكاة . إذ يمكن تعليم) المستقبل (ما هي دلالات البرامج ؟ وماذا يمكن ان يستنتج من) الديكوفكشن [7](من تحليل ؟ وما هي توجهات هذه المضامين التي تعرضها البرامج الحوارية ذات الطبيعية الخلافية ؟

ويرى كل من مكاوي وليلى السيد)) انه يمكن ان يكون لوسائل الاعلام آثار فردية وآثار مجتمعية . فعلى المستوى الفردي يمكن ان تؤثر وسائل الاعلام في زيادة عدوانية الافراد و معارفهم واتجاهاتهم ، وانواع المنتجات التي يشترونها ، واسلوب استخدامهم للوقت ، وعلى المستوى المجتمعي فأن وسائل الاعلام يمكن ان تعيد رسم النظم السياسية والقضائية والرياضية والاقتصادية والثقافية العامة.[8]

ولو اخذنا مثلاً جرائم التطرف والارهاب ، فحينما تتبني بعض وسائل الاعلام اتجاهات التطرف ، فأنها ستسهم في اشاعة ثقافة التطرف والاقصاء عن طريق استقبال وبث افلام ومقاطع فيديو التي يظهر فيها القتل والذبح وقطع الرؤوس الى جانب ملثمين يهددون بقتل المخطوف او ذلك الرهينة ..وبذلك تعمل وسائل الاعلام على الترويج غير المباشر للجماعات الارهابية التي تتلذذ بالدماء وسفكها وتحت مرأى الكاميرا وبمسميات الجهاد والمقاومة على اختلاف تنويعاتها . وبذلك تترك تلك الصور والاشرطة اثر اجتماعي تدميري يُكرس لثقافة العنف لدى عدد غير قليل من فئات المجتمع . وهكذا الامر بالنسبة للجرائم الاخرى كالجرائم الجنائية التي يمكن للأعلام ان يصور مرتكبيها كابطال او مغامرين ، حيث يترك هذا النهج انعكاسات غير سليمة لدى المتلقي ، على العكس من الاعلام الذي يعرض مثل هذه الجرائم وهو يحمل في طياته ادانة واضحة او حكيمة حيث سيسهم اعلام كهذا في الحد من الجريمة.

المبحث الثاني :ادوات السلوك الاعلامي وتداعياته السوسيولوجية

أ-الخطابة والمنبر الفضائي

ترتبط الخطابة بالاسلام من نواح عديدة ، فأولا الخطابة فن من الفنون ، والفن مطلقاً قادر على ان يكون في عون نشر عقيدة من العقائد ، او ان يكون حرباً عليها . اي ان بالامكان شد ازر فكرة ، او فلسفة ، او دين ، او رأي بواسطة هذا الفن او هذه الصناعة، كما يمكن اضعاف اي منها بصرف النظر عن الفرق بين الفن والصناعة. [9]

فقد يكون ما هو اخطر وافدح وادوم أثراً من جرم الافعال ، هي حرب الكلمات . فالدماء التي تسفك في كل حرب فعلية قد تجف مع دفن القتلى ، وقد يسري عليها قانون التقادم الزمني فلا يبقى

لها اي اثر في الذاكرة بعد جيل او جيلين . ولكن حرب الاقوال ، منذ ان تم اكتشاف فن الخطابه ، حرب قابلة للتجدد بأستمرار ، ولا يسري عليها قانون النسيان ولا قانون التقادم . بفعل تقنية التدوين بشقيه النصي والسمعيبصري .

وبالفعل شاهدنا وسمعنا عبر شاشات التلفزة مستعارة من قناة (BBC) خطاباً هو من اكثر ادوات الاجرام للشيخ (عادل الكلباني) امام وخطيب الحرم المكي الاسبق وهو ينادي بصراع طائفي يشعل الساحة العربية بصورة عامة والساحة العراقية بالخصوص ، تزامن خطابه هذا مع اخماد الفتنة الطائفية التي عصفت بالعراق.

وبدون ان ادعي الحصر – وهو في هذا المجال مستحيل – سأتوقف عند بعض الكلمات الهجائية للشيخ) الكلباني (كعبارته) الرافضي كافر(من هذه العبارة يستنتج الاخر بأن) ..عرض ومال ودماء الشيعي مستباحة (وعند ذلك ستسيل الدماء .ومن ثم جاء عدنان العرعورشيخ قناة صفا الفضائية الذي يطالب المسلمين بأحراق جثث المراجع الدينية ونقل رفاتهم الى اماكن بعيدة عن النجف الاشرف .. لكونهم قد افتوا بفتاوى قد لا تتناسب مع ميوله وتوجهاته .. وهذه تعتبر من الحروب العدوانية التي تأثرت بها سوريا الشقيقة . وتبعهم د .طه الدليمي الذي كثير ما يتطاول على كبير مراجع الدين في العالم الاسلامي وهو السيد علي السيستاني. وهو خطأ من شأنه ان يوجه المجتمع الى حالة من الغلو والتطرف .. مع ان السيد السيستاني لا يستحق الا الثناء في دوره الايجابي الذي ابعد المجتمع العراقي عن الفتنة الطائفية ، وهذا ما شهد له احد الكتاب السعوديين الذي قال)) ولعل تأثيره ظاهر بأجلى صورة ، وإن كانت قابلة للجدل ، في منع الشيعة من الرد على الفظائع الوحشية التي يرتكبها بحقهم المتطرفون السنة بصفه يومية تقريباً. [10]

والواقع ان المجتمعات المعاصرة قد دفعت ثمناً باهضاً بسبب تفشي الروح العدوانية وغياب الرحمة والتآلف بين الطوائف ، ذهب ضحيتها عشرات الآف من القتلى و المشردين . ولم تكن تلك النزاعات دائماً على قضايا تتعلق بالمبادئ اللاهوتية [11]، بل كانت في اغلب الاحيان تعبيراً عن ادعاءات متنافسة بأحقية امتلاك السلطة تطلقها جماعات متزاحمة فيما بينها وتعود في جذورها الى هويات دينية متباينة.

لذا يجب تبرأت الاسلام من صورة المجتمعات التي مورست فيها الحياة المشوهه للأسلام ونسبت اليها ظلماً وتزويراً . لأن المسلمين لم تعرف شريعتهم فترة غياب الاسس والمبادئ ، التي بُني على اساسها المجتمع الانساني بكل عناصره الانسانية مثل سيادة القانون ، واحترام ارادة الانسان وحقوقه في حقول الفكر والسياسة ، والانتاج وتحديد دور السلطة واعطاء المجتمع الدور الكبير في بناء الحياة وصنع القرار السياسي.

ب -الاعلام والجريمة المنظمة في عصر العولمة :

الجريمة ظاهرة اجتماعية تتأثر بثقافة وتاريخ الشعوب ، وهي ظاهرة نسبية تختلف من مجتمع لآخر.

وتعتبر الجريمة المنظمة من اكثر المشاكل الامنية خطورة ، حيث تهدد استقرار العلاقات الدولية والامن الداخلي للدول ، بما تمارسه عصابات الجريمة من تأثير على الحياة السياسية والأدارة الحكومية والسلطات القضائية ووسائل الاعلام والاقتصاد ، عن طريق اقامة هياكل تشبه هياكل التجارة والاعمال التجارية ، وذلك من خلال النمو المذهل للجريمة المنظمة على مدى العقد الماضي وامتدادها العالمي.

هذا وقد كان لظاهرة العولمة اثراً كبيراً في انتشار الجريمة المنظمة وامتدادها على نطاق واسع ، حيث تمخض عن ظاهرة العولمة نتيجتين : الاولى : ازالة الحدود بين الدول بحيث اصبح العالم وكأنه قرية واحدة . والثانية : تداخل القضايا بين ماهو سياسي او اقتصادي او اجتماعي ، فأصبحت هذه الموضوعات وكأنها في وعاء واحد لا يمكن الفصل بينها ، مما ادى الى امتداد ظاهرة العولمة الى الدوائر الاجرامية ، من خلال الاسلوب المنظم للجريمة وارتكابها من المؤسسات الاجرامية التي تعتمد المنهج العلمي في ادارة اعمالها تماماً كما تنتهجه المؤسسات المشروعة ، وتستفيد من التطور العلمي مثلما استفادت منه الاجهزة الامنية وتظهر بالسوق على انها مؤسسات مشروعة[12] .

وبذلك فأن مشكلة توفير الامن الاعلامي مشكلة حديثة ومعقدة للغاية فهي لا تعالج الجانب الامني الاعلامي بمعنى العسكرة وانما المقصود هو التنظيم القانوني لحماية الامن المعلوماتي في وسائل الاعلام الجماهيرية . [13]

فالاعلام الحر والموضوعي شرط من شروط بناء المجتمع المدني ، ونشر قيمه ، وترويج ثقافته ، شريطة الا يصبح وسيلة من وسائل الصراع بين مختلف القوى معبأ في خدمة هذه الايديولوجيا او تلك ، وهذا ما يميل اليه تومسون ، إذ يرى ان)) ممارسة السلطة الرمزية في المجتمع ، اي استغلال الافكار للتستر على مصالح القوى المهيمنة في النظام الاجتماعي او تبريرها او اعطائها طابع الشرعية . [14] ((فعندئذ تنحرف وسيلة الاعلام النبيلة وتخرج من سياق القداسة الى الاغراق)) الفساد والافساد الذي يشوب العلاقة بين مؤسسات الدولة وبعض الصحف هناك من يعتاش عليه اذ يعتبره مصدراً لتمويل الصحيفة. [15]

لذلك ربما يصح القول بان العنف والجريمة تصنعان الأخبار وتروجان لها)) وثمة مقولة لدى المسؤولين في غرف الأخبار في الوسائل الإعلامية الغربية تقول (if it bleeds, it leads) اي إذا كانت القصة الخبرية تحتوي على الدماء والأشلاء فهي تتصدر نشرات الأخبار , ومن الأمثلة على تصدر الأخبار التي تمتاز بالعنف حصولها على الاهتمام من قبل الجمهور المستهلك , ففي اليوم الذي تلا تحطم طائرة جون كينيدي في حزيران عام 1999 كان موقع(AO1) الإخباري يتلقى رسالة من قرائه تتصل بالحدث كل ثانية. [16]

ولقد اظهرت الدراسات الميدانية ان التعرض الى العنف في الافلام يحدد شكل العدوان ويزيد بشكل نموذجي العدوانية الشخصية في الحياة اليومية.

ومن هنا فان وسائل الاعلام هي اليوم أداة جبارة وامكاناتها تتنامى يوماً بعد يوم مع تطور التكنولوجيا الاعلامية ، والتي تساعد على انتاج واقع كاذب يتمتع فيه العالم بصفات سائدة من الخطر والتهديد وعرض المشاهد المرعبة والساخنة دون اعتبار للآثار الاجتماعية والنفسية.

ج - دور الشخصية الدرامية في السلوك الاجرامي

أكثر المصادر، تشير الى ان الشخصيات ، في اي عمل درامي ، انما هي الموجة والمؤثر للمتلقي ، وذلك بحكم الاحساس بالعطف المتولد ، في المتلقي ازاء مشاهدة الشخصيات ، حيث ان التشويق يعتمد عنصراً مهماً جداً ، وهو عنصر التعاطف ، وقد اكد ذلك ستيورات كرفش ، في كتاب صناعة المسرحية ، عندما اشار الى انه)) يقتضي التشويق التعاطف مع الشخص لأننا ان لم نتعاطف معهم لن يهمنا كثيراً اذ مروا بأنقلاب او تحول شديد في اوضاعهم ولن نبقى في حالة الترقب الدائمة والمتكونة من الخوف عليهم والأمل في ان تتحسن احوالهم. [17]((فالسينما هو فكر جديد وفلسفة في تغيير العمق التفكيري لدى الانسانية وتأثير الشخصية السينمائية في السلوك

الاجرامي لا يكون تاثيراً بدون حدود ، فالسينما كالتلفزيون والراديو والصحافة لها حدودها في التأثير لا سيما وان المستعمل لهذه الوسائل الاعلامية يستطيع التمييز بين ما هو حقيقي وما هو خيالي ، فما تعرضه دور السينما من افلام اجرامية هي افلام تعتمد على قصص ليست حقيقية وان المشاهد الواعي يعرف ذلك تمام المعرفة . لذا لا يتاثر فيها تأثيراً كبيراً لأن لديه القدرة على التمييز بين ما هو حقيقي وما هو خيالي . ومع ذلك فأن هناك اشخاصاً كثيرين لا يمتلكون القدرة على التمييز بين الواقعي والتمثيل ، فالافلام السينمائية التي يشاهدونها في دور العرض أو عبر التلفاز لا يميزون بينها وبين الحياة الحقيقية التي يعيشها الافراد في الجماعات فهم يعتبرون الافلام التي يشاهدونها في دور السينما عن الجريمة والانحرافات افلام تجسد الحقيقة والواقع ، لذا فأنها تؤثر في العديد منهم وتجعلهم يعيشون اجواء هذه الافلام بكل تفاصيلها وحيثياتها خلال مدة العرض ، وبعد انتهاء المشاهدة فأن قصة الفيلم وتفصيلاته المعروضة من شاشة السينما تبقى لاصقة في اذهانهم بحيث تكون جزء لا يتجزأ من شخصياتهم ، وتبقى عالقة في عقولهم لفترات طويلة خاصه تلك اللقطات للتفاصيل الخاصه بالجريمة من حيث طبيعتها وطرق تنفيذها والاشخاص المتورطين فيها وما احدثته من افعال.

فهناك مشاهدون يتأثرون بالشخصية السينمائية والتلفزيونية اكثر من غيرهم نظراً لأختلاف التفسير بينهم لمضمون وتفصيلات ما عرضه الفيلم السينمائي ، لأن البعض منهم يعتقد بأن مايعرض هو ضرب من الخيال وليس حقيقة . وعليه فأن وسائل الاعلام مهما تكن طبيعتها ونوعيتها تؤثر الى حدٍ ما في السلوك الاجرامي وان تأثيرها يعتمد على طبيعة الاشخاص الذين يديرونها.

فالافتقار الى العلم)) اي الجهل بالاسباب ، يجعل المرء مستعداً او بالاحرى يجبره ان يعتمد على نصيحة الاخرين وسلطتهم . فكل البشر المعنيين بالحقيقة لا بد لهم اذا لم يعتمدوا على انفسهم ، ان يعتمدوا على رأي شخص آخر يعتقدون انه اكثر حكمة منهم ولا يرون سبباًللظن بأنه سيخدعهم.((18)

وعليه استنتج الباحث ان الجريمة التي تعرضها وسائل الاعلام لا تستعمل المواطنين بل ان المواطنين هم الذين يستعملونها ، كل حسب طبيعته وطبيعة ظروفه ومعطياته الحياتية واستعداده على تقليد الشخصيات الاجرامية في الفيلم او فحوى القصة الاجرامية التي شاهدها او سمعها او قرأها . كما اننا لا نبريء ساحة وسائل الاعلام من الاشتراك في الجريمة كونها مؤثرة في سلوكيات الافراد وتقدم خطوات التحضير للجريمة بصورة سهلة ومزينة ومجملة لشخصية المجرم بأعتباره بطلاً مغواراً.

د -الاعلام السياسي وجريمة الارهاب

ان وسائل الاعلام لا تمدنا فقط بالمواد الاعلامية ، ولكنها تلعب دوراً سياسياً في المجتمع ، انها تصنع الكثير في برنامج العمل السياسي ، كما انها تساعد على تحديد المطالب السياسية التي تثار ، واي هذه الطالب لها فرصة الارضاء وأيها سوف يؤجل او يهمل.

فما حصل قبل أيام من دعوات بعض الاجهزة الاعلامية الى اصدار عفو عام عن المجرمين او الارهابيين بدعوى حقوق الانسان ، مع اغفال حقوق الضحايا وذويهم ، او الحق القانوني العام ، بالنحو الذي من شأنه تشجيع المجرمين والارهابيين على اعادة اجرامهم مرة اخرى ، وفتح الباب على مصراعيه امام من تتوفر لديهم روح الاجرام لأرتكاب مجازر بحق الانسانية ، وهذا ما

يتناقض مع الاخلاق المدنية والدولية والاسرية ، ويتعارض مع احترام القانون وحقوق الناس)).
فكلما زاد تركيز وسائل الاعلام على القضية السياسية كلما قل عدم اتخاذ الجمهور قراراً بشأنها [19]

ومما لا شك فيه ان ابرز ادوار الاعلام البرلماني يتمثل في تنمية الوعي الشعبي والجماهيري .وان الاعلام السياسي البرلماني هو من ابرز الادوات والآليات المناسبة لتوجيه الرأي العام والمجتمع ، ونقل المعرفة وهو المحرك الرئيسي لمختلف الانشطة وابرز الروافد لتدفق المعلومات وتحويل مشاريع الافكار الى اعمال.

ومن الغريب ان الاعلامي السياسي حيدر الملا حين عوتب على شاشة احدى الفضائيات ، بدعوى قائمته السياسية بخصوص اطلاق سراح المعتقلين بجريمة العمل الارهابي . رد : بأن من مصلحة البلاد ان تفعل ذلك لكي تحسن صورتها امام المجتمع الدولي.

السؤآل الطروح .. هل هناك استراتيجية للعفو عن المجرمين سوف تسنه السلطة التشريعية (البرلمان) لتجميل صورة البلاد امام المجتمعات الدولية . ومن الذي يقود هذا التشريع ؟

هل هم رؤساء اللجان ؟ ام رؤساء الكتل والقوائم السياسية ؟ وأين الدستور من ذلك ؟

وعلى ضوء ذلك يقول جواد علي)) يتفرع البرلمان الى عدة اتجاهات او اقسام منها ما يخص التشريع الناظم لعمل البرلمان وهو بشكل عام يستند الى طبيعة النظام السياسي المستند الى الدستور او النظام الداخلي للبرلمان او الاثنين معاً[20]

لذا على البرلمانيين ان يتسلحوا بجملة من المهارات الاعلامية لتمكينهم من خلق اتصال ناجح يمتاز بالمصداقية والدقة والوضوح ، وان تكون الرسالة الاعلامية واقعية.

المبحث الثالث : آليات الاستثمار الاعلامي في مواجهة الجريمة

أ / التربية والجريمة

التربية في مفهومها الشامل تعني إستراتيجية التعليم وتعديل السلوك بأبعاده العقلانية والوجدانية . وفي مقدمة القنوات التربوية ، المنزل ، والمدرسة ، والإعلام ، والرفقة .. ويمكن عن طريق هذه القنوات معالجة توجيه الناشئة على النحو الذي يبعدهم عن الجريمة ، فمثلاً العائلة يمكنها إن توعي أبنائها عن الابتعاد من مصاحبة ذوي السلوك الجانح وتبعدهم عن مصادر الجريمة وتقلل من الضغوط والمثيرات التي يتلقونها من وسائل الإعلام .

ويرى محمد الحفيف [١] : إن أبرز العوامل التي تؤدي الى تأثير وسائل الإعلام على الأطفال والناشئة هي :

١- إن الفرد يتعلم العنف في وسائل الإعلام ، ولكنه لايعمد إلى محاكاته وتقليده إلا في حالات الإحباط النفسي ، وهي تستثار عواطفه ومشاعر السخط والعنف لديه ، أي إن أي إنسان لايعمد إلى تطبيق السلوك العدواني الذي لاحظه في وسائل الإعلام تلقائياً وبشكل مباشر (ماعدا حالات الأطفال حيث يقومون بتقليد العنف الذي يشاهدوه في اللعب الذي يمارسوه) ، وهي (أفلام العنف والجريمة ومشاهد القتل) والتي تمثل عندهم مرجعية بأنواع العنف الذي لايمكن أن يقوم بها في موقف معين ، والرد المحتمل الذي يقوم به عند تعرضه لسلوك عنيف ما .

٢- إن تكرار التعرض بشكل كبير لمشاهد العنف في وسائل الإعلام يؤدي الى تبلد أحاسيس العنف تجاه العنف والسلوك العدواني .

---

[١] انظر محمد عبد الرضا الحفيف : كيف تؤثر وسائل الاعلام : مكتبة العبيكان ، الرياض ، الطبعة الاولى ، ١٤ذه هـ - ١٩٩٤ م ، ص٧٢ .

٣- إن الأطفال يتعلمون العنف خلال ملاحظة وتقليد أشخاص يقومون بها في وسائل الإعلام .

كما يمكن للمدرسة بمناهجها التعليمية سواء في مادة اللغة العربية أو مادة الاجتماعيات ان تتناول مظاهر السلوك غير السوي أو الإجرامي بطريقة تجعل من الطالب ينشأ ذهنياً وعاطفياً وهو يشمئز من السلوك المنحرف أو الإجرامي .. وتلعب التربية الدينية دوراً كبيراً في تقويم سلوكه وأخلاقه وعاداته .

فالظواهر العنيفة تولد ظواهر عنيفة أخرى ونقل وسائل الإعلام وتغطيتها لإعمال العنف قد يؤدي إلى إعمال عنف أخرى بشكل أو بأخر (والقيم السائدة والبنى الأساسية ومظاهر التدرج الاجتماعي في مجتمع ما ، كلها تساعد على تبادل وإنتاج العنف ، فالسلوك العنيف هنا هو انعكاس أو رد فعل لتفاعل هذه المكونات كلها مع وقائع الضرورة الاجتماعية ، وان وسائل الإعلام هنا قد لأتكون أكثر من ترويج للقيم السائبة ، أو إحداث العنف المسيطرة ضمن المجتمع)(١)

١. أ. سؤدد فؤاد الالوسي: العنف ووسائل الإعلام ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، عمان ، ٢٠١٢ م ، ص ٣٧.

إما وسائل الإعلام يمكن إن تأخذ بأيدي الناشئة والشباب على النحو الذي يرسمه سلباً او ايجاباً في آن واحد .. فتكون احياناً أداة موجهة تبعد عن الجريمة وسلوكياتها ، كما يمكن إن تكون ادأة مساعدة في ارتكاب الجريمة أو تعلمها .

ومع إن التفكير المنطقي يكون جزءاً جوهرياً للعملية التربوية فهو يجب ان لا يكون وحيداً . فهناك مظاهر واضحة جداً لمرحلة زيادة الوعي عند الشباب التي تتم الى حد كبير ، بواسطة الفضائية التربوية او قناة الجامعة. غير ان زيادة الوعي التربوي لا تعتمد في معظمها على الفضائيات ، بل على الكتب والدوريات التي تعالج التحريض والنزاعات العنيفة والنزاعات المسلحة وتقبح السلاح الناري agun وتسلط الضوء على الإحداث الدامية ساعة بعد ساعة ويوماً بعد يوم ((فهي تحمل لواء زيادة الوعي بنشاط وحماس كبيرين ، وتبثه يوماً بعد يوم ، وسنة وبعد سنة))[١٨] . والخلاصة ان التربية بقنواتها المختلفة إذا ما استثمرت اعلامياً أي تم ترجمة مضامينها عبر برامج الأسرة والبرامج التعليمية والتلفزيون التربوي ونحوها وعلى نحو مخطط وهادف فأنها ستلعب دوراً ايجابياً في ابعاد الأطفال والشباب عن السلوك الجانح .

ب/ الثقافة والجريمة :

الثقافة تعني بنظر علماء الاجتماع ((جوانب الحياة الإنسانية التي يكسبها الإنسان بالتعلم لا بالوراثة . ويشترك أعضاء المجتمع بعناصر الثقافة تلك التي تتيح لهم مجالات التعاون والتواصل . وتمثل هذه العناصر السياق الذي يعيش فيه افراد المجتمع . وتتألف ثقافة المجتمع من جوانب مضمرة غير عيانية مثل : المعتقدات ، والآراء ، والقيم التي تشكل المضمون الجوهري للثقافة ، ومن جوانب عيانية ملموسه مثل : الأشياء ، والرموز ، أو الثقافة التي تجسد هذا المضمون .))[١٩]

والثقافة لها معان متعددة فمرة يعني بها التعلم واخرى الحالة الاجتماعية وثالثة الابداع الادبي والفكري والقيمي والفني ونحوها مما يمثل انتاجاً جمالياً ، والمعنى الاخير الذي يلتصق بالاعلام هو الذي نعنيه في دراستنا .

فمثلا يمكن عن طريق الرواية او المسرحية،او برنامج تلفزيوني او فيلم سينمائي معالجة الجريمة اوعرضها بطريقة تنطوي على ابعاد تربوية وتوجيهية من شأنها ان تحث المتلقي على

الاشمئزاز من الجريمة والابتعاد عنها على النحو الذي يمكن ان يحد من الجريمة. ((فكان الاعلام هو المحور في هذه العملية وبالتالي كانت الصورة الاعلامية هي المسيطرة على المجتمع))[٢٠]

ونتيجة لذلك فان ((كل مانعرفه عن العالم هو ماتقرر وسائل الإعلام أ تخبرنا به ، وبذلك فان هذه الوسائل هي التي تشكل أولويات المواطنين))[٢]

وقد اكد ذلك الدكتور سعد لبيب عندما قال : ((التلفزيون ظاهرة اقتحمت علينا حياتنا المعاصرة اقتحاماً عميقاً قاسياً ، وكأنه القدر الذي لا مفر منه ، فقد اصبح التلفزيون شريكاً بالقوة – في حياتنا العائلية ، بل في كل جوانب حياتنا الفردية والاجتماعية ، يتدخل في كل شيء ، ويترك بصماته الواضحة على قيمنا وسلوكنا وعاداتنا واتجاهاتنا وافكارنا ، بل انه يكاد يجردنا من هذه الافكار ، فقد اصبح هو الذي يوجهنا الى السبيل الذي نختاره ، لحل مشاكل الحياة على اختلافها ، واسلمنا نحن له القيادة في سهولة ويسر دون اية مقاومة))[٢١]

ومن هنا تأتي أهمية السينما ((ليست تجريداً ، او جوهراً ، وانما هي مجموع العمليات التي ، تبلغ ، عن طريق الفيلم الى مرتبة الفن وصفته))[٢٢] وتعتبر الافلام انعكاساً لبناء المجتمع في وقت معين ،وبناء الفيلم يتغير مع تغير المجتمع ، وطبقاً لذلك فأن الشخصيات الفيلمية تمثل مبادئ ، اجتماعية محددة ، وهي تعرض دراما النظام الاجتماعي .

وعلى غرار الافلام الامريكية ، اختارت داعش انتاج افلام (صليل الصوارم) الدعائية ، وتم تقسيمها الى اجزاء عدة ، بدأت بـ (صليل الصوارم) ووصلت حتى الان الى الجزء الرابع ، ويتم من خلال هذه الافلام توثيق مايقوم به افراد التنظيم من قتال في ساحات المعارك المفتوحة ضد المدنين والارض والشجر وكل مايعترض طريقهم ، اذ يسود تلك المشاهد الرعب والقتل والتدمير ، ومعظم مشاهده دامية لاتستثني احداً ، سواء من يسير بمركبته على الطريق السريع في محاولة للهروب بعائلته ، او حتى من يمشي على الارض مستأمناً على نفسة ، الأ ان كل هؤلاء سيذهبون ضحية لعصابات ملثمة تعترض طريقهم وتغتال حياتهم بوابل من الرصاص المكثف الذي لايرحم ولايفرق بين رجل مسن او امرأة او طفل .

ونشرت (داعش) صليل الصوارم قبل قرابة الشهر من مشروعها في اعمال قتالية ضارية شمال العراق ووصولاً الى تخوم العاصمة بغداد .

١. محمد العمر: اسطورة داعش .. ارهاب الخلافة ودهاليز التمويل ، دار مدارك ، الرياض ، ص ١٥٧ .

ومن ابرز التغيرات الجديدة في مجال تقانة المعلومات شيوع مايمكن تسميتهالجريمة عبر الفضاء التخيلي (السايبر) حيث يتعذر السيطرة على المضامين الاباحية الخليعة المنتشرة على شبكات الفضاء التخيلي على الانترنت . وينطوي على ذلك مخاطر اخلاقية وتربوية واقتصادية جسيمة نظراً لسهولة التوصل لهذه المواد ذات الطابع الجنسي او العنصري واستخدام وسائل الاتصال الثورية الحديثة في حبك المؤامرات الاجرامية وتنفيذها ، اذ ان نظم الترميز المتقدمة والبيانات المكثفة السريعة تجعل مرتكبي الجرائم الكبرى الموسعة بمنأى عن اجهزة تطبيق القانون

وفي((بعض الحالات تكون الثقافة الغالبة هي الثقافة الغربية ، بينما الثقافة الاسلامية متنحية ، وفي حالات اخرى تطغى الصبغة الاسلامية . ولكن من المؤسف ان الثقافة الغربية قد خلقت جواً

[٢] نقلاً عن أ.د سليمان سالم صالح : وسائل الاعلام والرأي العام ، مفكرون الدولية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩م ،ص٣٥٠ .

مغبراً ملبداً بالضبابية بحيث لا يمكن ان يشاهد الجو الثقافي الاسلامي الناصع في اي مكان في العالم))[٢٣] .

ان النسبية الثقافية تعتبر ((ان كل ثقافة تملك منظومة قيمية ومعايير خاصة بها ، قد تختلف ، بهذا القدر او ذلك ، عن ثقافة اخرى وتتجلى اكثر ، في اشكال تعبيرها وادواته المختلفة ، بما فيها وسائل الاعلام والتلفزيون تحديداً .))[٢٤]

لذا لا بد ان يعتمد الاعلام في مجتمعاتنا على خصوصية القيم كمنطلق لتوجيه السلوك بعيداً عن كل اشكال الجريمة والسلوكيات المنحرفة ، والحقيقة ان اعتماد الخصوصية الثقافية من شأنه ان يبصر المتلقي بأن لكل مجتمع معاييره ، فهناك سلوكيات لدى بعض المجتمعات تعد مقبولة او مستحبة بينما لا تكون لدى مجتمعات اخرى كذلك كما هو الحال في مجتمعاتنا التي لا تتقبل بعض السلوكيات التي ينشئها الاعلام الغربي والتي تتنافى مع منظومتنا الدينية والاخلاقية .

ج/ القانون والجريمة :

ترى نظريات الضبط ان الجريمة تحدث عندما تضعف الضوابط الاجتماعية او المادية وتعجز عن ردع الجريمة او الحيلولة دون وقوعها، ويرتبط انتشار الجريمة بتزايد عدد الفرص والاهداف التي تتوخى التوصل اليها .

فالحياة الاجتماعية لا يمكن ان تطوي مسيرتها الحياتية التكاملية ، دون اقتلاع العوامل المضرة الهدامة فيها ((ولما كان القصاص في هذه المواضع يضمن استمرار الحياة والبقاء ، فأن الشعور بضرورة القصاص اودع على شكل غريزة في وجود الانسان . انظمة الطب والزراعة والري قائمة على اساس هذا الاصل العقلي ، وهو ازالة الموجودات المضرة الخطرة ،فنرى الطب يجيز قطع العضو الفاسد اذا شكل خطورة على بقية اعضاء الجسد ، وتقتلع النباتات والاغصان المضرة من اجل استمرار نمو النباتات المفيدة بشكل صحيح .. اولئك الذين يرون في الاقتصاص من القاتل قتلاً لشخص آخر ، ينظرون الى المسألة من منظار فردي ، ولو اخذوا بنظر الاعتبار مصلحة المجتمع ، وعلموا ما في الاقتصاص من دور في ضبط سائر افراد المجتمع وتربيتهم ، لأعادوا النظر في اقوالهم))[٢٥]

وهذا يبرز دور فاعلية الاعلام لمواجهة مفهوم الانحراف الذي هو بحد ذاته اوسع واكثر شمولاً من مفهوم الجريمة الذي يشير الى التصرفات غير الامتثالية التي تخالف القانون . من خلال البرامج التثقيفية ، القانونية ، والتوعية بالضوابط السلوكية وادانة الافعال المجرمة ((فالشرير لن يعيش حياة سعيدة حقيقية لا في الدنيا ولا في العالم الآخر فهو مكروه من الناس في دنياه ، وسيلقى العقاب الصارم في حياته الاخرى))[٢٦] .

فأذا اردنا منع الجريمة في المجتمع والتصدي لها لابد من وضع استراتيجية دراماتيكية يكشف بها الاعلام عن ظاهرة النزلاء في السجون ((غير ان السجين في كل الحالات يعاني انواعاً اخرى من الحرمان . فهو لا يحرم من حريته فحسب بل من رفقة عائلته واصدقائه ومن تلبية احتياجاته العاطفية والجنسية ، ومن عمله ودخله ومن اسلوب حياته العام . وغالباً ما يعيش السجناء في اماكن ضيقة مزدحمة بأمثالهم وتقل او تغيب عنها الشروط الصحية الاساسية ، كما انهم يخضعون لنظام صارم في حركتهم ومعيشتهم اليومية))[٢٧].

وتنص المقولة الاساسية للمتغيرات الاجتماعية الى ان ((نظرية التفكك الاجتماعي تفسر الجرائم في ضوء عدم قدرة عوامل الضبط الاجتماعي غير الرسمية كالمجتمع والاسرة في تنشئة الافراد وفقاً للمعايير السائدة في المجتمع ، نظراً لتأثير عوامل التغير الاجتماعي في ديموغرافية

وايكولوجية ، واستخدام التفكك الاجتماعي في هذه النظرية كمفهوم كبير وواسع يؤثر بطريقة مباشرة او غير مباشرة في الجرائم))[٢٨] .

اذن تلعب عوامل كثيرة ادواراً في احتواء الجريمة وفي مقدمتها وسائل الاعلام والتربية والقيم الاجتماعية والقانون الذي تسنه الانظمة الساسية ((فمع ولادة الدولة يولد اخطر منحنياً على الاطلاق : الطغيان الداخلي وبرمجة الحروب))[٣٠] . وهنا تكمن اهمية ولادة الانسان الذي لا يؤمن بالعنف وسيلة لتغيير النظام السياسي امران على غاية من الاهمية ، التغيير السلمي الداخلي والمحافظة عليه من الانحراف بنفس الآلية السلمية في التصحيح .

ملاحظة ختامية:

تعتمد دراسة اثر وسائل الاعلام في الحد من الجريمة او تفشيها على اطار مرجعي يأخذ في الحسبان قانون السببية التي استمد منها العالم ماكس فيبر نظريته السببية في كتابه الموسوم) المفاهيم الاساسية في علم الاجتماع (حيث يعتقد بأن الحياة الاجتماعية التي نعيش فيها هي عبارة عن مجموعة من الظواهر يمكن تفسيرها بالسبب والنتيجة ، اي ان لكل ظاهرة سبباً ونتيجة . فظهور الجريمة والانتحار وجنوح الاحداث وتفكك الاسرة وغيرها انما هي ظواهر لها اسباب مباشرة او غير مباشرة.

وبعد دراسة النظرية السببية التي طرحها ماكس فيبر نستطيع تطبيق هذه النظرية على موضوع دراستنا) اثر وسائل الاعلام في الحد من الجريمة او تفشيها (اذ ان النظرية السببية يمكن إن تفسر هذا الموضوع تفسيراً علمياً عقلانياً ، ذلك ان هناك علاقة متلازمة بين السبب والنتيجة ، لقد أكدت الإحصائيات)) ان 90% من صناعة الافلام وتجارتها في اوربا والولايات المتحدة الأمريكية يعتمد على عنصري العنف والجنس الذي يعلم السلوك الاجرامي.[36]((

ويكاد يكون العنف اليوم موجوداً في كل أشكال المضمون الإعلامي بمختلف أنواعد ومستوياته , ولذا تؤكد لنا السينما ان الأفلام الأكثر عنفاً أو التي تتميز بمشاهد العنف والرعب هي التي تتربع على قائمة أكثر الأفلام نجاحاً وشعبية وأكثرها ايرادات , ففي قائمة الأفلام الأكثر رواجاً لشهر أيلول عام) 2010 اعتماداً على شباك التذاكر الأمريكية (كانت الأفلام السبعة الأولى كلها أفلام عنف وجرائم قتل . ومن هذه الأفلام (Last Erconsm) وهو فيلم رعب يعتمد على قصص السحر والتقمص الشيطاني لإثارة الرعب والخوف ونسبة المشاهد المرعبة والمخيفة فيه عالية جداً.

وهنا تأكيد على ما ورد من قبل الكاتب الامريكي جون هوارد لوسون في كتاب) الفيلم في معركة الأفكار (عندما قال)) انه جرى الاتفاق على وجوب الحكم في الفيلم بوصفه اداة للسياسة الخارجية وان الأفلام التي ترسل إلى البلاد الأخرى لابد ان تخدم احتياجات الدعاية الحكومية وهو اتفاق ظل سارياً في عصر تفوق فيه التلفزيون على السينما في كم الانتاج . [37]

فأذا كانت هذه الوسائل تبث معلومات وصوراً تشجع الإفراد والجماعات على الاتيان ببعض السلوك المنحرف التي تقع تحت طائلة القانون ، وانها لا تتعامل مع الأزمات بحيادية وتعطي للجريمة مفهوماً آخر وتعبئه سياسياً وتميل إلى العنصرية ، كما جاء ذلك في بيان المركز الإعلامي المستقل ، على حد قول)) jean-steal نحن بحاجة إلى إعلام آخر ، كل الناس تشعر انها مخدوعة من قبل الاعلام المبرمج لأن وسائل الاعلام لا تقدم معلومات صحيحة وهي متحالفة مع السلطة وتنفذ سياسة اجهزة الدولة ، وهي تمارس عدوانية على الناس ، فالمؤسسة العسكرية والاستخبارات هي التي تدير المؤسسة الاعلامية [38]((،فلا شك ان ذلك سيكون سبباً أو احد الاسباب في ارتفاع معدلات الجريمة .اما اذا كانت وسائل الاعلام ملتزمة بالمبادئ الصحفية والقيم والمثل الايجابية وتتسم بدرجة عالية من الاخلاقية والمعيارية المقبولة في المجتمع فأنها تتحول

الى مصادر لنشر الثقافة وبناء الشخصية والقيم الايجابية . الامر الذي يساعد على انخفاض معدلات الجريمة في المجتمع .

مما تقدم يمكن القول بأن وسائل الاعلام يمكنها ان تكون عاملاً مساعداً في ارتفاع او انخفاض الجريمة يضاف الى عوامل اخرى مسؤولة عن تهيئة الاجواء الاجرامية مثل اضطراب السلوك او غريزة حب التملك ، او انتقال الصفات الوراثية الغالبة والمتنحية من الخلف الى السلف.

الخاتمة:

ان لوسائل الاعلام آثاراً إيجابية كما لها آثار سلبية في قيم وعادات المجتمع وسلوك افراده ، فالاثار السلبية لها تؤدي الى تحلل القيم وتفكك العلاقات الاجتماعية وظهور المشاحنات وبروز السلوك المتشنج وارتفاع معدلات الجريمة .

اما الايجابية فهي اكتساب الثقافة والتواصل مع المجتمعات الاخرى ، ولها ابعاد توجيهية تحث على الاشمئزاز من الجريمة ، وكذلك تلعب دور واضح وايجابي في ابعاد الاطفال والشباب عن السلوك الجانح.

وقد تعرض الباحث الى مراحل تدفق الاعلام ونشاطه من خلال السلوك الاجرامي ، كما اشار الى ما يعرف بدور وسائل الاعلام في معالجة الجريمة ، بأعتباره رافد اساسي من روافد التاثير والاتصال الجماهيري.

وابرز الباحث ان مجالات الاعلام تختلف في اهميتها لدى القائمين على الاجهزة الامنية ، كما تختلف ايضاً في مدى مصداقيتها ومدى قبول نتاجاتها الصحفية او التلفزيونية في الدوائر القانونية والاعتماد عليها كأدلة ثبوتية ، إلا ان التطور التقني الذي طرأ على وسائل الاعلام في عملية الرصد والبث الحي او) المسجل (، كان قد اعان الباحثين والمشاهدين على الوقوف والتعرف على ما يدور حولهم من وقائع ، الامر الذي اكسب المهتمين بهذا الجانب وخاصة في الفترات الاخيرة في المحافل القانونية والاجهزة الامنية اهمية خاصة . وقد استخدمت بالفعل المشادات الكلامية والتصريحات اللامسؤولة والغير مبررة والخطب العصماء في كشف خبايا واسرار كثيرة من الجرائم الغامضة ، كما استخدمت وسائل الاعلام عبر تغطيتها لبطولات رجال الامن في القبض على المجاميع الارهابية واوكارها في مكافحة الجريمة المنظمة ومتابعة المجرمين ومحاربة الارهاب وعصابات التهريب . واستخدمت وسائل الاعلام في الوقت ذاته بتبرئة ساحات كثير من المتهمين المشتبه في تورطهم في جرائم لم يرتكبوها.

التوصيات والمقترحات

- مراعاة اخلاقيات المهنة وذلك بعدم عرض الاعمال التي تشجع على الجريمة بدافع الشهرة او الذيوع ، مع الالتزام بتجنب عرض الاعمال الفنية التي تنطوي على العنف والجريمة والارهاب . والتي لا تتوائم مع وتيرة المجتمع العربي الاسلامي.
- الحث على الالتزام بمنظومة القيم والقوانين الجنائية الوطنية والانظمة والتشريعات المتعارف عليها ، وكذلك التعريف بالجريمة وانواعها والعقوبات المترتبة عليها.
- مراقبة النتاجات الاعلامية ، التي تدعو المشاهد او المتلقي الى تمثل اساليب وعادات وقيم غير مألوفة كتعاطي الحشيش والمخدرات وتهريب السلاح ونحوها ، والحيلولة دون اشاعتها كيلا يندفع الشباب الى الدخول في عالم الجريمة.
- ضرورة ان تقوم الاجهزة الاعلامية بوسائلها المختلفة بحث المواطنين في عمليات الرصد والاخبار والمتابعة لغرض الحيلولة دون قيام الجريمة او على الاقل جعل قيامها امراً صعباً او مستحيلاً.

- ضرورة ان تقوم الاجهزة الاعلامية عبر انشطتها الفنية بما يعظم من قيم السلوك السوي والابتعاد عن الجرائم مع التشهير بالانحرافات السلوكية والنماذج الاجرامية وفضح المحرضين على العنف والنزاعات المسلحة.
- على الباحثين في وسائل الاعلام ان يزودوا انفسهم بالمعرفة الكافية في المجال القانوني والامني وعلم الجريمة ، فضلاً عن عوامل التأثير النفسي في سلوك الفرد والجماعة ، وتحديد الدور الذي يمكن ان يقوموا به في مساعدة الاجهزة الاعلامية والأمنية في ترشيد المواد الاعلامية بالنحو الذي يكافح الجريمة ويحول دون تفاقمها.
- من الجدير بالاعلام ان يناقش الخطابات التحريضية المصورة التي تصدر عن الدعاة السلفيين باسم هذه الجهة او تلك , ولابد للاعلام ان يخضعها الى التحليل والمناقشة والتفنيد وبيان تهالكها وفسادها , ومن ثم التشهير بالفقه الدموي الذي يعتمد عليه المجرمون سواء كان هذا الفقه تقليديا ام مستحدثا , وسواء استنبطه معاصرون او كانت له جذور في الروايات غير الصحيحة التي استقرت في كتب الحديث او الروايات الصحيحة التي اسيء فهمها او تاويلها.

الهوامش

١. السيناريست : هو كتاب السيناريو ، وربما يفوق المائة تعريف او اكثر للسيناريو ، خصوصاً لو عرفنا ان الدول والسياسات لها سيناريوهات وبرامج تعتمدها لتنفيذ مهام اعمالها . إلا ان ما يعنينا هو السيناريو وفق المنظور الخاص بالاعلام.

٢. موسوعة المصطلح النقدي ، ترجمة د .عبد الواحد لؤلؤة ، م 1، دار الرشيد ، العراق ، 1982، سلسلة الكتب المترجمة (120) ، ص. 347

٣. نقلا عن د.جهان رشتي : الاسس العلمية لنظريات الاعلام , ص. 627 - 626

٤. محمد عبد الرحمن المصيف : كيف تؤثر وسائل الاعلام ، مكتبة العبيكان ، 1994 ، الرياض ، ص 24

٥. عاطف العبد ، ونهى العبد : الرأي العام والفضائيات ، ص.3

٦. محمد عبد الرحمن المصيف : مصدر سابق.

٧. الديكوفكشن : التعبير الآخر للديكودراما ، وهي بالعادة اضطراب او اختلاط الوثيقة بالقصة (fiction) مما يعني الفيلمية الوثائقية الممزوجة او المركبة بين الوثائق والقصة ، وبشكل ادق يمكن ان نقول هو البرنامج الوثائقي الذي تلوث بعناصر القصة.

٨. حسن عماد مكاوي ، ليلى حسين السيد : الاتصالات ونظرياته المعاصرة ،. 348

٩. مرتضى مطهري : بين المنبر .. والنهضة الحسينية ، دار الارشاد ، 2009 ، بيروت ، ط 1، ص. 200-199

١٠. ولي نصر : صحوة الشيعة ، ترجمة سامي الكعكي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 2007،ص. 175

١١. اللاهوت أو الالهيات : في المعجم الاسلامي هو)) علم الكلام ((المكرس علماً قائماً بذاته ويقتدر معه على اثبات العقائد الدينية بايراد الحجج ودفع الشبهة عنها

١٢. جهاد محمد البريزات : الجريمة المنظمة : دار الثقافة ، 2008 ، الاردن ، ط 1، ص. 16-15

١٣. بسام عبد الرحمن المشاقبة : الامن الاعلامي ، دار اسامة ، 2012 ، الاردن ،ص 183

١٤. انتوني غدنز : علم الاجتماع ، ترجمة فايز الصباغ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط 4،بيروت ، ص. 518

١٥. موسى فرج : قصة الفساد في العراق ، دار الشجرة ، دمشق ، ط1، 2013 ، ص 346

١٦. أ .سؤدد فؤاد الالوسي :العنف ووسائل الإعلام ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، عمان ، 2012 م ، ص .92

١٧. قاسم عبد الامير عجام : الضوء الكاذب في السينما الامريكية ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، 2001 ، ص. 49
١٨. توماس هوبز : اللفياثان ، ترجمة ديانا حرب وبشرى صعب ، كلمة. ط 1، الامارات العربية ، 2011 ، ص. 109
١٩. مجد الهاشمي : الاعلام الدبلوماسي والسياسي ، دار اسامة ، 2011 ، الاردن ، ص . 86
٢٠. جواد علي : الاعلام البرلماني ، دار اسامة للنشر ، 2011 ، الاردن ، ص. 35-34
٢١. محمد عبد الرحمن المصيف : مصدر سابق.
٢٢. دانييل يانكلوفيتش : الديمقراطية وقرار الجماهير : كيف تنجح الديمقراطية في عالم اكثر تعقيداً ، ترجمة كمال عبد الرؤوف ، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية ، القاهرة 1993، ص. 98
٢٣. انتوني غدنز : مصدر سابق ، ص82
٢٤. هارلمبس وهولبورن : سوثيولوجيا الثقافة والهوية ، ترجمة حاتم حميد محسن ، دار كيوان ، ط 1، 2010 ، دمشق ، ص 89
٢٥. سعد لبيب : دراسات في العمل التلفزيوني العربي ، بغداد ، مركز التوثيق الاعلامي لدول الخليج العربي ، 1984 ،ص. 5
٢٦. د.سليمان بن قاسم الفالح : جرائم الاحتيال في المجتمع السعودي ، العوامل والاخطار والتوقعات المستقبلية ، المجلة العربية للدراسات الامنية والتدريب ، م 23، العدد 45 ،1429 هـ ، جامعة نايف ، ص 146
٢٧. اندريه بازان : ماهي السينما ؟ ، ج 2، ترجمة د.ريمون فرنسيس ، مكتبة الانجلو المصرية مع مؤسسة فرانكلين ، القاهرة – نيويورك ، 1968 ، ص. 138 – 137
٢٨. محمد تقي مصباح اليزدي :النظرية السياسية في الاسلام ، ج 1، ترجمة خليل عصامي ، دار الولاء ، بيروت ، ط 1،1429 هـ2008 - م ، ص.211-210
٢٩. نصر الدين لعياض وآخرون : ثورة الصورة .. المشهد الاعلامي وفضاء الواقع ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2008 ، ص.144
٣٠. الشيرازي ، المفسر ناصر مكارم : الامثل في تفسير كتاب اللهالمنزل ، ج 1، مؤسسة الاعلمي ، ط 1، بيروت ، 2007 ، ص 416
٣١. د .مصطفى حسن النشار : مدخل الى الفلسفة السياسية والاجتماعية ، دار المسيرة ، الاردن ، ط 1، 2012 ص. 72
٣٢. إنتوني غدنز ، مصدر سابق ، ص 304
٣٣. د .خالص جلبي وآخرون : الاسلام والعنف ، دار الكرمل ، الاردن ، ط 1، 2005 ، ص 36
٣٤. د .ادريس الكتابي : ألآثار السلبية لمشاهد العنف والاجرام في التلفزيون والسينما على سلوك الطفل ، المجلة العربية للدراسات الامنية ، م 3/، العدد 5/، الرياض ، 1987 ، ص .67
٣٥. أنظر : د .عبد الباسط سلمان : السيناريو والنص ، الدار الجامعية ، بغداد ، 2012 ، ص. 205
٣٦. صادق نعيم الصغير : دور الاعلام في مواجهة الارهاب) العراق انموذجاً (، مكتب زكي للطباعة ، بغداد ، 2012 ، ص. 148
٣٧. محمد العمر :اسطورة داعش .. ارهاب الخلافة ودهاليز التمويل ، دار مدارك ، الرياض ، ص 157